صناعة المصطلح النقدي لدى الدارسين المغاربة، آلياته وإشكالا ته
-عبد الملك مرتاض نموذجا- د. عبد الرحيم إبراهيم فو اتيح، جامعة تيسمسيلت.

مقدمة:

تعرف الدراسات النقدية المعاصرة تطوّراً ملموسا وفعّالا، ذا تأثير قوي، حيث استحدثت مصنّفات مختلفة طرح فيها أصحابها عظيم جهدهم الفكري، ونظرتهم البعيدة للأمور والمسائل، فالأصالة الفكرية تساهم بشكل كبير في الدراسات النقدية المعاصرة، وبهذا يستطيع النقاد والدارسون المغاربة صناعة المصطلح النقدي، وتحديد آلياته ومعالجة إشكالاته، وبذلك يمكن أن يتقدّموا بالنقد خطوات حثيثة، مضيفين إشراقات ورؤى جديدة للدرس اللّغوي، وإسهامات في وضع المصطلحات العلمية الدقيقة، والسعي لنشر معجم للمصطلحات النقدية والفنّية.

فالدارس يستطيع أن يُحيل كلّ الأنظار إلى الاهتمام بالمصطلح النقدي، باعتباره ضرورة حتمية فرضها الواقع، ويقوم على أساسها المنهج النقدي، الذي به تُصْقل وتُحدّد المصطلحات النقدية، والّتي بها نصنع صرح الدرس النقدي اللّغوي المعاصر، ويسهّل عملية تحديد المفاهيم، وتوضيح المصطلح عموماً.

ولأنّ لكلّ زمان لغة هي أقرب إلى الفهم وروحاً تتطلّب معاني جديدة، ونمطا في البحث جديدا، فقد قسّمت هذا العمل إلى ثلاثة أقسام، بحثت في القسم الأوّل في مفهوم المصطلح لغة واصطلاحا بإيجاز، وذكرت في القسم الثاني عل سبيل الذكر أهمّ المؤلفين والنقاد المغاربة الذين تناولوا وعالجوا قضية المصطلح حديثاً،

وعنيت في القسم الثالث بالناقد الجزائري عبد الملك مرتاض كنموذج لدراسة الظاهرة المطروحة، حيث نحاول تلمّس طرق وخلفيات صناعته للمصطلح النقدي والإشكالات الّتي يطرحها من خلال بعض مدوناته النقدية الّتي نذكر منها على سبيل المثال: كتاب الشعر الأوّل، معالجة تاريخية.. رصدا، وأنثربولوجية .. مقاربة، وسيميائية.. تحليلا لمطالع المعلقات..

ولعلّه من الكتب الأولى في اللّغة العربية من نوعه يتناول الجانب الأنثربولوجي والسيميائي. من حيث موضوعاته وأنماطه، على حاجاتنا الشديدة إلى كثير من الكتب في هذا الموضوع الذي عُنِيَت به المصادر والمراجع النقدية المعاصرة.

1- القسم الأوّل: مفهوم المصطلح لغة واصطلاحا:

للخوض في موضوع كهذا لا بدّمن التَعَرُّف على ماهية المصطلح، وأهم دلالاته اللّغوية، كما أنّ الاطّلاع والوقوف على المصطلح يتوجّب معرفة الجانب اللّغوي منه ثمّ الاصطلاحي قبل الشروع في الموضوع لمعرفة هذه الماهية ودلالاتها.

1-1 لغة:

جاءت مادة [ص ل ح] في معجم اللغة العربية المعاصرة بلفظ اصطلحَ وهو مأخوذ من اصطلحَ، يصطلح، اصطلاحًا، فهو مُصطلِح، والمفعول مُصطلَح عليه، اصطلح النَّاسُ: زال ما بينهم من خلاف، توافقوا وزال تخاصُمُهُم "اصطلح أهالي القرية، وفي حقّ الزوجين داخل الأسرة، يقول الله تعالى: {فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ} [النساء: 128].

والمجتمع يستعمل هذا المصطلح كثيرا فيقال: اصطلح القومُ على الأمر؛ إذا تعارفوا عليه واتّفقوا ونقول "اصطلح العلماءُ على تسمية العناصر الكيميائيّة"[1].

[1]- ينظر: أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، الطبعة الأولى، 1429هـ - 2008م، 2/ 1312.

2-1: اصطلاحا:

أما في الاصطلاح فقد تطرّق العلماء للمصطلح، حيث عرّفه الشريف الجرجاني بقوله: «الاصطلاح عبارة عن اتفاق قوم على تسمية شيء باسم ما ينقل موضعه الأوّل وإخراج اللّفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما»[1].

فيرى أنّ هذه المناسبة لا تكون دائما في المصطلحات لذا يقال "لا مشاحات في الاصطلاح" فقد لا تكون مناسبة بين الكلمة والمصطلح، كذلك يعتبرون الاصطلاح هو اتّفاق طائفة على وضع لفظ إزاء المعنى، وقد يُفهم الاصطلاح على أنّه إخراج الشيء عن المعنى اللّغوي إلى معنى آخر لبيان المراد، وقد يكون لفظا معيّنا بين قوم معينين.

و المصطلح قد يكون لفظًا استعمل لغير معناه اللّغوي، بشرط وجود علاقة، من قريب أو من بعيد، بين المعنى المستعمل فيه، والمعنى اللّغوي ، كاستعمال كلمة (الضَّرْب) لتكرار العدد بقدر معيّن، مع أن أصل معناه اللّغوي هو الإصابة باليد وبالعصا أو نحو ذلك؛ وقد يكون استعمال اللّفظ بمعناه اللّغوي نفسه، كما في (الجريان ، والذوبان)؛ أو يكون لفظًا جديدًا مشتقا، أو مقيسا، أو مولدًا، أو حتى مُعرَّبًا من كلمة أجنبية[2].

ويقولون لكلّ علم لغته أي مصطلحاته، حيث يرى التهانوي صاحب كتاب: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم أنّ دلالة المصطلح عربيا تعود إلى مادة صلح فقال: «إن جذر اللفظ (مصطلح) من صلح، والصلاح ضد الفساد. وربما كنّوا بالصالح عن الشيء الذي هو إلى الكثرة. فيقال: مغرت في الأرض مغرة من مطر. وهي مطرة صالحة.

فجذر اللفظة له دلالة حسّية عند العربي إذ تشير إلى المواجه للفساد والانحلال، أي التنبّت، ومن التنبّت تتشعّب معاني الخصب والحياة والاستمرار والبقاء»[3].

---

[1] - الشريف علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، المطبعة الخيرية المنشأة بجمالية، مصر، 1306هـ ، ط1، ص13

[2]- يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة 2008، ص.28.

[3] - محمد بن علي التهانوي موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف ومراجعة: رفيق العجم، تح: علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، الطبعة: الأولى - 1996م، المقدمة: 27.

ثم استخدم اللفظ على معنى مجرّد عند ما انبرى اللّغويون إلى تقعيد اللّغة، لكن هذا المعنى الذي أشار إلى البقاء والاستمرار عندهم ظل له علاقة ما مع الدلالة الحسّية. مثال ذلك: يقول بعض النحويين، كأنّه ابن جني، أبدلت الياء من الواو إبدالا صالحا: أي أبقى وأكثر قابلية للحياة في الاستعمال اللّغوي.

ومن ثمّ أخذت اللفظة مجراها في الاشتقاق فأضحت «الاصطلاح» من افتعال وزنا. ووزن افتعال يحمل في دلالته معنى تدخل الإنسان ومهارته العقلية في الفعل، إذ يقال: اصطناع، اقتسام. والاصطلاح حديثا: العرف الخاص، أي اتّفاق طائفة مخصوصة من القوم على وضع الشيء أو الكلمة[1].

وعند رجوعنا للمعاجم نجد أنّ المدلول المعجمي لمادة اصطلح منبثق من التصالح الداعي إلى السلامة، ولا ريب إذا اختلف الناس لوجود مدلول جديد في تسميته، فكان الاختلاف بائنا وواضحا، حيث صار كلّ فريق يدلي بدلوه ويعطيه تسمية تناسبه هو، مغايرة لتسمية الآخر إلى أن كان الاتّفاق بعد كلّ ذلك الاختلاف فتصالحوا على تسمية واحدة.

وإذا عرضنا اللّفظ على الجانب الصرفي سنجد الإبدال يلعب دورا محوريا في تبديل الحروف مكان بعضها للمناسبة وعدم التجانس بين الحروف، فلفظ اصطلح عل وزن اِفْتَعَلَ، ولعدم تجانس حرفي الصاد والطاء أبدلنا حرف التاء ظاءً فصارت اصطلح بدل اصتلح.

2- القسم الثاني: أهمّ المؤلفين والنقاد الذين تناولوا وعالجوا قضية المصطلح حديثاً:

تناول الباحث علي القاسمي في كتابه علم المصطلح عدة أبواب، وعالج جوانب مختلفة، منها الحديث عن التراث العربي المنطوق والمكتوب، اللذان يعتبران مصدرين للمصطلح يتوارثهما كلّ فرد حسب تخصّصه، إذ يتوارث المهنيون والحرفيون والصناع مصطلحات مهنهم وحرفهم وصناعاتهم جيلا بعد جيل، ويتوفرون على أسماء أدواتهم وآلاتهم ومعداتهم وعملياتهم المختلفة، ويستخدمونها في أحاديثهم اليومية. والكثرة الغالبة من هذه المصطلحات عربية فصيحة، وصلت بالسماع والتلقي منذ قرون عديدة. وليس من

[1]- ينظر: محمد بن علي التهانوي موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، المقدمة: 27.

الصحيح أن يتولى اللسانيون والمصطلحيون وضع مصطلحات جديدة دون الرجوع إلى أهل الاختصاص. ويمكن الاستفادة من تلك المصطلحات عن طريق جمعها من قبل باحثين مصطلحيين بمشافهة أهل الاختصاص وتسجيل محادثاتهم، وتوجيه الأسئلة إليهم، وترتيب حصيلة ذلك كله في شكل مصطلحات مصنفة معرفة، وأخيرا إشراك المختصين في وضع المصطلحات الجديدة المتعلّقة بميادين اختصاصهم[1].

ومن أبرز الجهود المصطلحية الّتي قام بها نقاد جزائريون ما نجده عند الباحث رشيد بن مالك وأنجزه في قاموسه الموسوم بمصطلحات التحليل السيميائي، كما لا تخفى علينا جهود يوسف وغليسي[2].

وحسب تقديرات ودراسات الدكتور علي القاسمي فإنّ الخلاصة الّتي توصّل إليها تنبئ عن حقائق بحثية متتالية، حيث يسترسل في ذكر ما وصلت إليه بحوثه في مسألة المصطلح[3].

لكن الناقد والعلم البارز في المغرب والّذي أحدث نقلة نوعية في الدراسات النقدية واللّغوية عموما هو الأكاديمي والباحث المغربي محمد مفتاح، رحل تاركاً العديد من المؤلّفات التي توزّعت بين النقد الأدبي والتحقيق، وشكّلت مرجعاً بارزاً للباحثين والأكاديميّين في المغرب وخارجه.

كان رائدا للدرس السيميائي عبر أجيال كاملة في الجامعات المغربية وخارجها، إلى جانب محمد عابد الجابري وَعَبد الله العروي[4].

ومن المؤسسات العربية الّتي تنشط في البحث المعجميّ والمصطلحيّ، (جمعيّة المعجميّة العربيّة بتونس)[5].

---

[1]- ينظر: علي القاسمي، علم المصطلح أسسه النظرية ومبادئه العملية، ص: 315.

[2]- يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة 2008، ص.28.

[3] - ينظر: علي القاسمي، علم المصطلح أسسه النظرية ومبادئه العملية، ص: 315.

[4]-ينظر سيرة محمد مفتاح على العنوان: https://www.alaraby.co.uk › culture ›

الرباط، العربي الجديد، تاريخ النشر 09 مارس 2022م

[5]- ينظر: البريد الإلكتروني للجمعية : i.benmrad@hexabyte.tn، وعنوان الجمعية : 77 مكرر، شارع بلفي، الوردية 1009 تونس.

دون أن ننسى عبد السلام المسدي وهو واحدٌ من النقاد القلائل الذين ترسّخت أسماؤهم في حركة النقد الأدبي ليس في تونس فقط بل في العالم العربي، فعلى مدار مسيرته الطويلة قدّم عطاءً وافراً أسهم في ثراء الحركة النقدية العربية[1].

وتبقى الدراسات النقدية الحديثة تصنع الحدث في القطر المغاربي بتونس والمغرب والجزائر، حسب ما أدلى به الباحث رشيد بن مالك ، وما أنجزه في قاموسه الموسوم مصطلحات التحليل السيميائي، وهو العمل الجزائري الوحيد بين الأعمال السيميائية المعاجمية المتخصّصة، إلى جانب ما قدّمه الباحث مولاي علي بوخاتم من عمل قيّم تحت عنوان مصطلحات النقد العربي السيماءوي، الإشكالية والأصول والامتداد، إضافة إلى ما قدّمه الباحث أحمد حساني في مجال مباحث في اللسانيات، هذا ما يتعلّق بالسيميائية وأهمّ روادها في العالم المغاربي، أما ما يتعلّق بالنقد المغاربي فنجد في المقدمة الناقد عبد الملك مرتاض الّذي تناول المصطلح بطريقة تُعَدُّ أكثر تعبيراً على وضعية المصطلح السيميائي في الواقع المغاربي بوجه خاص والعربي بوجه عام، فهو يتعامل مع المصطلح بحسب ثروته اللّغوية القيّمة، والّتي تمتدّ قواعدها إلى التراث العربي القديم ببلاغته وموروثه الأدبي الزاخر، حيث يخوض في تفرعاته محكوماً بالحدود العامّة التي حدّدها البلاغيون والنقاد القدماء، أو كما هو في المعاجم اللسانياتية الغربية، فنجده ينحت مصطلحاته باستمرار، بلغته التحفة ذات الأدبية الخارقة والخصوصية المتفرّدة، وقاموسه اللغوي الثري، فخصوصيته خصوصية الرجل المبدع المطلع على خبايا اللغة العربية وأسرارها[2].

ومع ذلك يحتاج في تلك النظريات والمصطلحات السيميائية إلى شيء من الدقّة في توظيف تلك المصطلحات اللسانية والسيميائية عل حدّ قول الباحث مولاي على بوخاتم.

---

[1]-ينظر: دار الإعلام العربية، البريد الالكترونىinfo@arabmediahouse.net، عنواندار الإعلام العربية 43شارع دجلة متفرع من جامعة الدول خلف مبنى الفؤاد الإدارى الدور الأول شقة 104

[2]- ينظر: مولاي على بوخاتم،مصطلحات النقد العربي السيماءوي، اتحاد الكتاب العربي -دمشق - 2005 المصدر: الشاملة الذهبية، ص : 160.

3- القسم الثالث: خصّصناه للناقد الجزائري عبد الملك مرتاض كنموذج لدراسة الظاهرة المطروحة، حيث نحاول تلمّس طرق وخلفيات صناعته للمصطلح النقدي والإشكالات الّتي يطرحها من خلال بعض مدوناته النقدية الّتي نذكر منها على سبيل المثال: كتاب الشعر الأوّل، معالجة تاريخية.. رصدا، وأنثربولوجية .. مقاربة، وسيميائية .. تحليلا لمطالع المعلقات..

وقبل الشروع في دراسة منهج الناقد عبد الملك مرتاض في النقد لهذا المصنّف وغيره كثير علينا أن نتعرّف عليه في سطور.

عبد الملك مرتاض (ولد 10 أكتوبر 1935) أستاذ جامعي وأديب جزائري حاصل على الدكتوراه في الأدب. ولد في مسيردة بولاية تلمسان. يمثّل رئيس المجلس الأعلى للغة العربية (2001م). وشغل سنة 2011 منصب أستاذ لمقياس الأدب الجزائري، ومن أهمّ صفاته بين طلبته تواضعه وسمته، ويُعَدُّ مرجعا في الدراسات الأدبية والنقدية. كان عضوا في لجنة التحكيم لمسابقة شاعر المليون التي أقيمت في الإمارات.

له حوالي خمسين مؤلفاً، منها تحليل الخطاب السردي (تحليل سيمائي مركب لرواية زقاق المدق لنجيب محفوظ)، وجمالية الحيز في مقامات السيوطي (اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1996)، التحليل السيمائي للخطاب الشعري (تحليل قصيدة شناشيل ابنة الجلبي، نشر دار الكتاب العربي، الجزائر، 2001)

وله قراءة النص بين محدودية الاستعمال ولا نهائية التأويل (تحليل لقصيدة قمر شيراز لعبد الوهاب البياتي)، كما له بنية الخطاب الشعري (تحليل لقصيدة أشجان يمانية لعبد العزيز المقالح،وله شعرية القصيدة قصيدة القراءة (قراءة سيمائية ثانية لقصيدة أشجان يمانية)، كما له النص والنص الغائب (تحليل قصيدة كن صديقي لسعاد الصباح)، وله كتاب الشعر الأوّل، معالجة تاريخية.. رصدا، وأنثربولوجية .. مقاربة، وسيميائية .. تحليلا لمطالع المعلقات، والّذي هو محل اهتمامنا في هده المداخلة.

وقبل دراسة بعض محتويات هذا الكتاب المذكور لا بدّ من التعرّف على مفهوم الأنثروبولوجيا الّتي كانت منهجا مستخدما في دراسة الشعر الأوّل.

للأنثروبولوجيا عدة تعاريف، نذكر منها:

أ-كلمة الأنثروبولوجيا(Anthropology)ذات أصل يوناني، مكوّنة من مقطعين: الأول(Anthropos) أي الإنسان، والثاني هو(Locos)أي العلم أو الدراسة.

وبذلك يصبح معنى الأنثروبولوجيا من حيث اللفظ "علم الإنسان" أو "دراسة الإنسان" والحقيقة أنّ ترجمة لفظ الأنثروبولوجيا إلى اللغة العربية أثبتت عدم جدواه واتّضح أنّه أمر غير دال، لأنّه لا يقدّم تسمية كاشفة دالّة. فهناك علوم أخرى كثيرة تدرس الإنسان، كالتاريخ، علم الاجتماع، علم النفس والبيولوجيا

هذا من حيث التسمية أما من حيث موضوع العلم فإنّنا نجد من استعراض الدراسات الأنثروبولوجية في ماضيها وحاضرها أنّ رجال هذا العلم قد أخذوا التعريف اللفظي لعلمهم مأخذ الجد. ومن هنا أصبح موضوع هذا العلم بحق هو دراسة الإنسان وأعماله، أي كل منجزاته المادية والفكرية، أي الدراسة شاملة للإنسان. ولهذا نقول إن الأنثروبولوجيا هي أكثر العلوم الّتي تدرس الإنسان وأعماله شمولا على الاطلاق[1].

ويحاول عبد الملك مرتاض تقريب صورة العربي منذ العصر الجاهلي أنثروبولوجيا وسيميائيا، باعتبار الأنثروبولوجيا العلم الذي يدرس الإنسان من حيث هو كائن عضوي حي، يعيش في مجتمع تسوده نظم وأنساق اجتماعية في ظلّ ثقافة معيّنة، فكأنّ هذا الإنسان يعيش في حياة بدائية، وكأنّه يترقّب حياة حديثة معاصرة غير الّتي يعيشها، فهي محاولة التنبّؤ بمستقبل الإنسان معتمدا على تطوّره عبر التاريخ الإنساني الطويل، وبما أنّ الأنثروبولوجيا هي ا لعلم الّذي يدرس الإنسان في حالة التغيّر والتطوّر، فيراعي سلوكه وأعماله، فيه، كما يطّلع على كيفية اكتساب الثقافة وتوظيفها في عملية الإبداع.، ليحاول دراسة الإنسان من كافة الجوانب والنواحي.

هذا المقصود بدراسة الإنسان أنثروبولوجيا، أما دراسته سيميائيا فيتوجّب علينا معرفة مفهوم هذا العلم، حيث إنّ السيميائيةكعلم ظهر في الغرب على يد دي سوسير في

[1]- ينظر: مصطفى تيلوين،مدخل عام في الانثروبولوجيا، دار الفارابي، الطبعة الأولى 2011م، بيروت، لبنان، ص: 15 – 20. وينظر: آنجرس موريس: منهجية البحث العلمي في العلوم الانسانية (تدريبات علمية)، تر: صحراوي بوزيد وآخرون، دار القصبة للنشر، الجزائر 2004.ص: 33 – 38.pdf لـ

فرنسا تحت مصطلحSimiology ، وعلى يد بيرس في الولايات المتحدة الأمريكية تحت مصطلح Simiotics كلٌّ على حدة في وقتين متقاربين (1996) ,Barthes ولكن يبدو أن أصل الكلمة عربي، وأن هذين العالِمين قد أخذا هذا المصطلح عن اللّغة العربية ونسبه كل منهما لنفسه، ومما يدل على ذلك، أن هناك تشابه كبير بين اللفظ العربي الوارد في القرآن الكريم ومعاجم اللغة العربية وبين اللفظ الأجنبي، مع أن ظهور اللفظ العربي سابق على ظهور اللفظ الأجنبي بمئات السنين، كما أن المعنى واحد تقريباً للفظين العربي والأجنبي، فعندما يقول تعالى: "سيماهم في وجوههم من أثر السجود " (سورة الفتح، الآية: 29)، فإن معنى ذلك أن هناك علامات تدلّ على أن هؤلاء الناس الوارد ذكرهم في الآية يكثرون من السجود بالرغم من أننا لا نراهم وهم يكثرون من السجود، ولكن هذه العلامات هي الّتي دلت على هذا الأمر. ويقول تعالى عن المنافقين مخاطباً رسوله الكريم: "فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول" (سورة محمد، الآية: 30)، فهؤلاء المنافقون الذين يُظهرون الإيمان ويخفون الكفر، لا يدل ظاهرهم على أنهم كفار، ولكن الله يوجّه رسوله إلى أنّ هناك علامات ودلائل على ما يخفونه من الكفر، ويوجّهه إلى إحدى هذه العلامات وهي لحن القول[1].

4- قراءة في كتاب الشعر الأوّل:

عند تحليل الباحث عبد الملك مرتاض ومعالجته لقصائد تعود للعصر الجاهلي نجده يتعامل معها بوضع مصطلحات جديدة وخاصّة به، لأنّ المصطلح عنده يتمثّل في السمة الفردية، الّتي تتحلى بعنصر الاجتهاد الفردي.

يقسّم الناقد دراسته على سبعة فصول، وكلّ فصل خصّصه لشاعر، وأردف الكتاب بملحقين، الأوّل جعله لمركزية «ألا عم صباحا» في الشعر العربي، والملحق الثاني جعله لمعجم اللّغة والمصطلحات، حيث قسّم هذا الملحق إلى قسمين، الأوّل في معجم اللّغة كتقديم، والثاني خصّصه للمصطلحات السيميائية والنقدية.

[1]- محمود حسن، السيميائية طريقة تدريس جديدة، أستاذ، تاريخ النشر: 15/07/2019، العنوان الإلكتروني: new.educ.com@gmail.com

وخصّص الفصل الأوّل لإمرئ القيس، جاعلا الافتتاحية بما قبل البدء للدفاع عن وجود امرئ القيس، ثم قراءة في متن المطلع المرقسيّ، يتبعها بتحليل سيمائي للمطلع المرقسيّ، ويذكر دلالة تنكير السمات اللفظية، ثم ينتقل إلى الدفاع عن شعرية امرئ القيس، لينتقل إلى القسم الثالث وهو تناصّ الشعراء مع المطلع المرقسيّ عبر العصور، فكانت بذلك تأسيسات نحوية من خلال المطلع المرقسيّ، لينتقل إلى مسألة تأسيس تقليد البكاء على الديار، فيتحدّث بعد ذلك عن الحيّز الشعري في المطلع المرقسيّ، ويختم بتأسيس التصريع من خلال المطلع المرقسيّ، هذا كله جعله دراسة وتحليل لمعلقة امرئ القيس.

أما الفصل الثاني فقد خصّصه للشاعر لبيد، والشعر الأوّل، فيتناول العناصر نفسها الّتي عالجها مع الشاعر امرئ القيس، وهكذا مع بقية الشعراء عنترة الّذي يتناول عنه جوانب العبودية إلى أن يتحرّر مستعملا مصطلح الحرار.

ثمّ يأتي دور زهير ويتحدّث عن بكائيته عند طلول دار أمّ أوفى، فيجعلها قراءة أوّلية في متن مطلع معلّقة زهير وتخريجه، فيذكر شعرية زهير في مرآة القدماء، ثمّ يصف زهيراً عل أنّه شاعر التسامح والسلام، لينتقل الناقد بعد ذلك للحديث عن مركزية مطلع المعلقة، والحديث عن مدى مناصصة الشعراء لمعلقة زهير، ويعرّض مطلع المعلّقة للتحليل الأنثروبولوجي، ثمّ التحليل السيمائي لمطلع المعلقة .

وخصّص الفصل الخامس للشاعر الحارث بن حلّزة، فيجعلها أولا قراءة أولية في متن مطلع الحارث وتخريجه لينتقل إلى التنويه بمركزية مطلع الحارث في الشعر العربي، وكيف تمّت عملية تناصّ الشعراء مع مطلع الحارث بن حلّزة، لينتقل بعد ذلك للتحليل الأنثروبولوجي لمطلع معلقة الحارث بن حلّزة، بعد ذلك ينتقل إلى التحليل السيمائي لمطلع المعلّقة.

وجعل الفصل السادس لبكائية طرفة على طلول خولة في مواسم الوشم، فكانت قراءة في المطلع وتخريجه، مرورا بمركزية المطلع ثم تواتر مطلع المعلقة بمصرعيه الأول والآخر، لينتقل إلى الحديث عن تواتر المصرع الأول من المطلع وحده، ثم تواتر المصرع الثاني، إلى أن يصل إلى مدى تناص الشعراء مع مطلع قصيدة طرفة، ثم التناص مع الطلل والوشم واللوح وظاهر اليد، لتكون وقفة جمالية عند هذه التناصات، لينتقل بعد ذلك

لقضية التناص مع الوقوف على الأطلال وبكائها، ويجعل حيّزا للتحليل الأنثروبولوجي لمطلع معلقة طرفة، فيذكر مكونات الأنثروبولوجيا في سمة خولة ، وماهي المكونات الأنثروبولوجيا في سمة أطلال، ثم في سمة الوشم، وعرج بعد ذلك إلى التحليل السيمائي لمطلع المعلّقة فكان فيه تحليل السمات المتشاكلة في المطلع الطرفي.

أما الفصل السابع فقد خصّصه للنابغة ومناجاته المجهودة لـ "ميّة" المفقودة، فكانت قراءة في متن مطلع معلّقة النابغة وتخريجه، فتناول شيئا عن شعرية النابغة، وما جاء في مطلع المعلّقة من جمال "الشعررة"، وهذا مصطلح جديد خاص بالناقد عبد الملك مرتاض، وقبله كان المصطلح يقال له الشعرية، لينتقل بعد ذلك على مركزية مطلع المعلّقة في الشعر العربي، ليتطرّق بعد ذلك إلى قضية تناصّ الشعراء العرب مع مطلع معلّقة النابغة، ويكون بعد ذلك التحليل الأنثروبولوجي لمطلع معلّقة النابغة، وهو تحليل الكلمات المفاتيح، لينتقل بعد ذلك إلى التحليل السيمائي لمطلع معلّقة النابغة، ليفتح المجال بعد ذلك للملاحق كما سبق ذكر ذلك في بداية هذه السطور.

وما يهمّنا في هذه المداخلة هو الملحق الثاني الّذي خصّصه لمعجم اللّغة والمصطلحات"، حيث جعل البداية لمعجم اللّغة، ثم ذكر المصطلحات السيمائية الخاصّة بالناقد عبد الملك مرتاض.

والناقد يرى أنّ مستخدمي اللّغة تعترضهم معانٍ كثيرة أو قليلة، يحاول

صوغها والتعبير عنها، فتخونه ملكته اللّغوية خاصّة أثناء الكتابة، ومن ثم في ألفاظ اللّغة الّتي ذكرتها المعاجم العربية والّتي مشكلتها فيلجأ إلى اللّغة المسموعة عن الأعراب، أو ما ورد في نصوص فصيحة موثوقة في صدر الإسلام.

ورغم وثوقية لغة الأعراب الأوائل إلا أنّ الناقد مرتاض يرى عدم خلو ذلك من بعض النقائص التي حاولت تجميد الاستعمال اللّغوي، والاجتزاء به، بما نطق أوائل العرب الفصحاء[1].

[1] - ينظر: عبد الملك مرتاض، كتاب الشعر الأوّل، معالجة تاريخية.. رصدا، وأنثربولوجية .. مقاربة، وسيميائية .. تحليلا لمطالع المعلقات، البصائر الحديدة 2016م، باب الزوار، الجزائر، ص:443، 444.

ويصل الناقد إلى قناعة تامّة بأنّ هذا الأمر لا يخدم مسار اللّغة العربية، وتطوّر استعمالها، بحكم مستجدات الحضارة، مع الزمن. وبحكم أن المعاجم العربية لا تتعامل مع الأفكار والمعاني التي لا ينتهي مثولها في الذهن، فإنها تعتقد أن ما أوردته، مرويا عن الأعراب والفصحاء في الزمن الأول من عهد الإسلام، يجزئ المتعامل. ولعل النقص الذي يلازم بعض هذه المعاجم العربية أنّها لم تمتد إلى الكتاب والشعراء والفصحاء، المعتد بلغتهم، والموثوق بمعرفتهم وإمامهم، إلى نهاية القرن الرابع على الأقل، كأبي عثمان الجاحظ، وأبي حيان من الكتاب؛ وأبي تمام، والبحتري، وأبي نواس، وأبي الطيب المتنبي، من الشعراء[1]

يقول الناقد مرتاض: «ونحن كثيرا ما يصادفنا ((فراغ لغوي)) حين تعرض لنا فكرة نريد التعبير عنها بطريقتنا الخاصة، فنضطر إلى استعمال ألفاظ ننشئها إنشاءً، لأول مرة، ولكن انطلاقا من مقتضيات نظام اللّغة العربية وأبنيتها. وقد أنشأنا بعض الألفاظ الجديدة في هذا الكتاب، اضطررنا إلى إنشائها، أو كذلك بدا لنا، نذكر للقارئ الكريم بعضها، كما نحاول شرح العملية لنظام العربية في استعمالها» [2].

5- صناعة الناقد عبد الملك مرتاض للمصطلح النقدي:

يخصّص الناقد للمصطلح في كتابه هذا صفحات معتبرة يوضّح فيها قيمة المصطلح وأهميته في الدراسات الحديثة والمعاصرة، ويجعل لها عنوانا خاصاً باسم مصطلحاتنا السيمائية والنقدية:

ومن المصطلحات التي ذكرها الناقد نذكرها على سبيل الذكر دون تفصيل:

المصطلح	المعنى المراد
التأْلِقة	مصدر لفعل ألّق، وهو مصدر رباعي في الحقيقة قياسي، من ألق الشيءَ من الألق تألق وتأْليق

[1] - عبد الملك مرتاض، كتاب الشعر الأوّل، ، ص: 446.

[2]- المرجع نفسه، ص: 447.

التّسَمْيُؤُ	الوقوع تحت تأثير السيميائية، وكان يمكن أن يذكر هذا الحرف في قسم المصطلحات، الذي سيأتي؛ وذلك كقولنا: وقد يكون الأروع في هذه السيميائية أنك تسطيع أن تَتَسَمْيَأ
التشيئ	ما جعل في الشيء من جنسه
التعتيه	من تعييه وتعتيهه من عيِيَ، إذا لم يكن فصيحا
التعمُّد	الغوص في التحليل عموديا
التعْهيد	من قول النحاة ألْ للعهد أو الجنس
التّغوُّب	الوقوع في الغابة وإمعان في مجاهلها
التنصُّصُ	للدلالة على حدوث التنصّص بمعنى التجلّي
توجُّعُه واسْتيجاعهُ	طلب الآخرين أن يشاركوه في التوجُّع
الخصباء	عوضا عن الخصبة الشائعة بين الناس، وإن لم توردها المعاجم
صدْقَنة	اصطنِع هذا التعبير للدلالة على إلباس الخبر الصدقية
محسرة للوجدان	قياس لقولنا محزنة للجَنان
مكؤوبة	قياس على محزونة
وَقْعَنَة	جعله واقعيا

وذكر مصطلحات أخرى هي مصطلحات معيّنة شرحها وذكر سبب توظيفها نذكرها حسب ورودها في الكتاب:

الانتشار والانحصار[1]، التشاكل والتباين، **التواسم، الحيّز**[2]،

وهذ المصطلح الأخير يرى الناقد أنه لا يبتعد بهذا عن المفهوم التراثي في توظيفه للحيّز، لأنّ مفهوم الحيّز ينشأ عنه بالضرورة الحديث عمّا يمكن أن يطلق عليه في اللّغة العربية التحييز.

[1]- عبد الملك مرتاض، كتاب الشعر الأوّل، ص: 450، 451.

[2]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

هذه بعض المصطلحات التي استخدمها الناقد عبد الملك مرتاض في كتابه هذا الشعر الأول وغيرها كثير لا يتّسع المقام لذكرها جميعا ونكتفي بهذا القدر لنفسح المجال للبحوث المستقبلية في هذا الخصوص.

وقد حاولنا أن نتناول المصطلح حسب الجهود المبذولة لتسهيل التعامل مع مواضعات المصطلحية.

الخاتمة: وعليه فإنّ الذين تناولوا المصطلح وإشكاليته ركّزوا على المصطلح الأدبي واللّغوي والأنثروبولوجي والسيميائي والنقدي، إلا أن الدراسة المفصّلة تقتصر على إشكالية المصطلح النقدي.

في الوقت الّذي نجد فيه اختلاف النظريات والرؤى حول قضية المصطلح، إذ تختلف إشكالاته، لذلك فإنّ تحديد مفهوم هذا المصطلح أمر يبدو عسيراً، كما بقي يعاني من الاضطراب وعدم الاستقرار.

فالضرورة تفرض الواقع الّذي يقوم على أساسه المنهج النقدي، والّذي به تُحدّد المصطلحات النقدية، وبها نصنع قوام الدرس النقدي اللّغوي المعاصر، ويسهّل عملية تحديد المفاهيم، وتوضيح المصطلح عموماً.

وما قدّمه الناقد عبد الملك مرتاض يعتبر إرثا قيّما لا يُستهان به، بحيث تناول المصطلح بطريقة تُعَدُّ أكثر تعبيراً على وضعية المصطلح السيميائي في الواقع المغاربي بوجه خاص والعربي بوجه عام، فهو يتعامل مع المصطلح بحسب ثروته اللّغوية القيّمة، والّتي تمتدّ قواعدها إلى التراث العربي القديم ببلاغته وموروثه الأدبي الزاخر، فهو لا يتجاوز الخطوط والحدود العامّة التي حدّدها البلاغيون والنقاد القدماء، فهو ينتقي مصطلحاته حسب ما تقتضيه المناسبة، فلا زال يُتْحِفُنا بلغته البديعة ذات الأدب الرصين الخارق، كما أنّ له خصوصية متفرّدة، فقاموسه اللّغوي ثريّ دائما، فهو الرجل المبدع والمتمرّس والمطّلع على خبايا اللّغة العربية وأسرارها.